صورة الأب في المجتمع المغاربي بين النظرة " الحدثية " والنظرة " الأصلية ".

د. بن عبد الله محمد (جامعة وهران 2، الجزائر)

Email : benmed_oran31@yahoo.fr

المتتبع و الفاحص لما هو مدون في الأدبيات في محاولاتها لرسم ملامح صورة الأب في المجتمع المغاربي يكتشف بأن هذه الصورة هي متناولة بمنظورين مختلفين و متعارضين. صورة تنعت في الغالب الأب بنعوت سلبية، تنقص من مكانته و تسفل دوره وتمقت معاملته مع أفراد عائلته وتنسب إليه أنواعا شتى من المعانات التي تعيشها الأسرة و في مقدمتها المرأة في البيئة المغاربية. هذه الصورة السلبية التي تروج لها النظرة الغربية في كتاباتها المختلفة يسارع كثير من المغاربة لتبنيها و مساندتها. مبرراتهم المعلنة و غير المعلنة متعددة يتصدرها تطلعهم إلى إعادة النظر في العلاقات الأسرية التي يجدونها مختلة ولا تحقق طموح الفرد في الظفر بحريته و استقلاليته ونضجه النفسي والاجتماعي. و أما الصورة المقابلة فهي الصورة التي يتشبث بها كل من يرى بأن مكانة الأب في المجتمع المغاربي ، رغم التطورات التي طرأت على بنية الأسرة المغاربية و على العلاقات بين أفرادها و على الأدوار المنوطة بكل واحد منهم و على الذهنيات المشكلة في ظل التقلبات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية الداخلية والخارجية ، لا زالت تحظى بشيء من التجذر في الواقع المغاربي (توالبي Toualbi 2000 : 88) و تحتفظ بقيمتها الاجتماعية و تنعم بكثير من الاحترام و التقدير الذي يعود بالدرجة الأولى إلى المرجعية الأخلاقية و الدينية (بوحديبة Bouhdiba 1995 :126-132) التي تعرف لـ " التراريس " كما يقول سليمان عشراتي (2002 : 271-277 ، 288-290) قدرهم ومروءتهم وأنفتهم لدودهم عن وجودهم و شرفهم وصفاء هويتهم.

انطلاقا من هذه المعطيات فإن الورقة التي ننوي تقديمها إلى ملتقاكم الموقر تهدف إلى تناول العناصر التالية:

التطرق أولا إلى مفهوم " الأب " من منظور علم النفس لتتجلى أمام أعيننا بوضوح الوظيفة الأساسية المنوطة بدوره ضمن البنية الأسرية للاضطلاع بمهمته من أجل الحفاظ على سلامة عائلته و القيام بواجباته الضرورية الملقاة على عاتقه. و لعل الدافع الذي أملى علينا الانشغال بهذا الهدف قبل الانصراف إلى ما ينشغل به غيرنا هو عزوف أغلب الكتابات و الدراسات كما يؤكد على ذلك جرمان دولاك (Germain Dulac 1997) عن الاهتمام بالخصائص الجوهرية للأبوة و إسهاماتها في تربية ونمو الأطفال و عن الأساليب الفعالة و الحسنة لممارستها و التفرغ إلى حد الوسوسة لإبراز الجوانب السلبية عند الأب المتمثلة في اللامبالاة و الإهمال وفي الغياب و العنف والتعسف. و في نفس السياق يندرج اهتمامنا الموجه إلى إثراء دور الأب بالأفكار المتجددة التي تتعلق على وجه الخصوص بعلاقة الطفل

بأبيه في المرحلة المبكرة من حياته حيث لا نجد أي أثر أحيانا لحضوره في هذه الفترة الحساسة . و قد تستأثر الأم بهذا الاهتمام كما تبين لنا ذلك من خلال عمل سابق (بن عبد الله محمد، 2010 : 132-140).

ثانيا محاولة الكشف عن ملامح صورة الأب في المجتمع المغاربي من منظور النظرة الغربية وتقديم قراءة عن دوافعها و أهدافها.

ثالثا محاولة التعرف على ملامح صورة الأب المتجذرة في الواقع المغاربي في ظل التقلبات الثقافية والاجتماعية و الاقتصادية الداخلية و الخارجية و الكشف عن المتغير و الثابت في الممارسات التي ترتبط بدور رب الأسرة و مسؤولياته و التحديات الكبيرة التي تواجهه في عالم شديد التغير مثقل بكثير من الاكتشافات و الإنجازات و الإبداعات و الطموحات و الرغبات ولكنه في نفس الوقت مكبل بكثير من العوائق والأعباء والهموم و الضغوط اللامتناهية.

الكلمات المفتاحية: الأب و علم النفس، النظرة الغربية للأب ، النظرة المتجذرة لمفهوم الأب الممارسات الأبوية الثابتة و المتغيرة في المجتمع المغاربي.

مفهوم الأب من منظور علم النفس:

خلافا لما يعتقد البعض فإن للأب دورا مهما بالنسبة للعلاقات الأسرية. فهو ضروري للانسجام والتوازن الذي يجب أن يسود بين كل أفرادها. و لعل الدور الأساسي الذي يضطلع به الأب لفائدة كل الأسرة بالكفاية المطلوبة هو ذلك الذي يتمثل في السلطة. و لكن السلطة هذه التي تحتاج إليها الأسرة بكاملها لا تعني بالضرورة الظلم و القمع. فالأسرة في حاجة إلى سلطة الأب من أجل تدعيم قواعدها ورص صفوفها و العمل على تحقيق أهدافها التربوية. فكلما أحست الأم بأنها مدعومة من الأب كلما كانت على استعداد للقيام بواجبها على أحسن وجه. الأمر الذي ينعكس لا محالة على الحياة الأسرية بصفة إيجابية و يسهم في أيجاد الظروف المناسبة لنمو الطفل السليم.

بالإضافة إلى هذا فإن صورة الأب النموذج و القدوة بالنسبة لكل طفل تحيل إلى القيم و الرموز. فالأب يعد سندا سيكولوجيا حقيقيا من خلال حضوره الفعلي إذ يمثل النموذج الاجتماعي المفضل و الركيزة المرجعية في الفضاء الأسري و المثال الأعلى لأنا الطفل (أجورياقيرا ج. J. De Ajuriaguerra 1980 : 859) بفضل المكانة الاجتماعية التي يحتلها في منظومة القيم و سلطته الرجولية التي ترمز إلى القوة و تحفز على التقمص و تدرأ الإحباطات المفضية إلى سوء التكيف و القصور في النضج و الانحرافات المختلفة (فرانك بوبل.Frank Popple W 284-267: 1979). و الأب كالأم يستطيع أن يمنح

لأبنائه كثيرا من الحب المصحوب بالعزة والتضحية إذ أن الإحساس بالكرامة الذاتية و بالدعم و الحب أساسي للنمو النفسي لدى الطفل (ماجد مورسي إبراهيم 2001: 174-178) .

والأب في نظر أغلب علماء النفس يمثل مبدأ الحياة البشرية لكونه يرمز إلى القدرة داخل العائلة ويجسد القانون الاجتماعي منذ فجر الحياة بالنسبة للطفل و ذلك من خلال تصديه للرغبات غير الملائمة مع المعطيات الثقافية و الاجتماعية التي تتعارض مع القيم المطلوب التقيد بها كفرد ليكون مقبولا كعضو اجتماعي فعال داخل المجتمع الذي ينتمي إليه و ليتمكن من تحقيق نضجه النفسي المتوازن الذي يسمح له بالتكيف مع ثقافة مجتمعه (كرستيان نصار، 2000: 31-32). و مفهوم الأب نجده كذلك يحيل إلى معنى الطاعة والاستقلال الذاتي. فهو المحرك الأساسي لهاتين القيمتين إذ أن الطاعة ترتكز على السلطة الأبوية و الاستقلال الذاتي ينهض على الاحترام المتبادل و العدالة و يعتمد على أخلاقية الحرية (محمد الرميحي ، 1999 : 25-26). بفضل هذا المناخ الذي يجلبه الأب للأسرة يتعلم الطفل روح المبادرة و يكتسب معاني الجد و ينعم بالاستقرار و الاطمئنان الذي يجعله في منأى عن الإحساس بالقلق و القهر و التسلط و الكراهية. و مما لا شك فيه أن المهمة الأساسية التي تتحقق بوجود الأب سواء كان أبا منجبا للطفل أو شخصا افتراضيا بديلا و مرضيا عنه للاضطلاع بوظيفته الأبوية هي التي تتمثل في البناء النفسي للطفل. و لكن هذا الأمر يقتضي في نظر باطريك جويني (Patrick Juignet 2012) عدة شروط لكي يؤدي إلى تأثير فعلي. إن الأب المعني بهذه الوظيفة يجب أن يكون حاضرا و مقدرا و غير منبوذ من قبل الأم أو من قبل الجماعة لأن الأم هي التي في الغالب من خلال مواقفها و اتجاهاتها تسهم في توعية الطفل وتبصيره بدور الأب. و المطلوب كذلك، وهذا الأمر قد يبدو طبيعيا و بديهيا، أن يكون رجلا أي مميزا ومختلفا عن الأم. و أخيرا ولكي يتحقق لدى الطفل هذا البناء النفسي الذي يتوج ببناء الهوية والفردانية وتحقيق الذات و يكتسب بفضله مفهوم الغيرية و التمايز و الانفصال و ينعم بالتوازن والنضج فمن الضروري أن يكون الأب منتميا للجيل الذي يحظى بمكانة الأبوة المفوض لنقل الإرث السيكولوجي كما يقول موري بوان (Murray Bowen) الذي يشارك ويكمل الأدوار الأمومية من أجل إبداع الذوات المتزنة وليس الذوات المزيفة (les pseudo-selfs). كما أن المراهق هو الآخر سواء كان ولدا أو بنتا تقول هرستل فرانسواز (Françoise Hurstel 1996) لا يمكن أن يظفر بالتمايز الضروري إلا في ظل أسرة بشريكين مميزين توفر لديه المعلم المجسد للسلطة التي يعمد إلى معارضتها حينا و إلى احترامها و تقديرها حينا آخر لأنها تمكنه من الاندماج ضمن السلالة و الحصول على القيم و استيعاب القيود و الممنوعات و يتيقن في النهاية كما يرى مارك إلي إيون (Marc Elie Huon :2003) بأن أكبر هبة يمنحها الأب لابنه تتمثل في عدم القدرة بل استحالة إعطاءه كل شيء. وهي الملاحظة نفسها التي يؤكد عليها إفون دالار(Yvon Dallaire 2001) في مرجعه "رجل و معتز بذلك" Homme et fier de

l'être حينما يشير إلى وظيفة الأب الأساسية التي تتبدى بالدرجة الأولى في إبعاد الطفل عن ثدي الأم و في فصله وتمييزه و تمايزه عنها. إن الأب الجيد في نظره هو الذي يسعى إلى تربية أطفاله من خلال توسطه بين الأم و الطفل لكي يسمح لهذا الأخير بتطوير هويته خارج التلاحم الأمومي إذ أن الأب يمثل القيود والحدود و التمايز النفسي. إن الطفل في حاجة إلى ممنوعات الأب ليتعرف على الحدود و يتعلم كيف يهتم بالآخرين. إنه يتعلم من خلال أبيه بأنه توجد عوالم أخرى غير عالم الأمومة يضطر للتعامل معها لكي يستمر في الحياة و ينتعش.

إن الوظيفة الأبوية من منظور علماء النفس كما يختصرها إيفون دالار تنحصر في خمسة أهداف:

الهدف الأول يتمثل في الحماية. إن رجل القرن 21 في نظر دالار مطالب بتقديم الحماية من الأخطار الفيزيقية الخارجية والأمن العاطفي ليس لأطفاله فحسب و إنما كذلك لزوجته. فزوجته و أطفاله يريدون الاعتماد عليه و على حضوره الفعلي و النفسي المرفوق بتقديره في وظيفته. التربية التي يمنحها الأب لأطفاله تعد من المهام الأساسية الأخرى لوظيفته. إن الأب في الوقت الراهن أكثر من أي وقت مضى يقع على عاتقه تعليم أطفاله ضبط الذات و التحكم فيها من أجل العزوف عن التلبية المباشرة للرغبات و الحاجيات و التحلي بخصلة الصبر. و إذا أبصر عندهم ما يدل على ميل عدواني بادر إلى إقناعهم باستثماره فيما يعود عليهم بالنفع و الفائدة. و هذا الأمر الذي يشار إليه هنا ليس بالمستحيل، فكم رأينا من الشباب الذي كان يتفجر عنفا و شغبا قد تحول إلى رياضي وديع و متألق. ومن المهام الأبوية التي تذكر من قبل المؤلف إيفون دالار عملية التلقين (l'initiation) التي تهدف إلى تأهيل الطفل و تعويده على تحمل الإحباط و النقص من أجل الاندماج في عالم الكبار و العالم الاجتماعي كالذي يجري و يلاحظ عند القبائل الإفريقية عندما تستعين بما يعرف بالطقوس التأهيلية التي تدرب الطفل من خلالها على الانخراط في الحياة الاجتماعية و تقبل قواعدها ومعاييرها و أعرافها.

إن تخلي الأب عن ممارسته لهذا الواجب و اضطلاعه بهذا الدور الأساسي المكون هو المسؤول في كثير من الأحيان عن تنامي ظاهرة الجنوح عند الشباب يقول دالار ، لأنهم يتمادون في الاعتقاد بأن كل شيء مسموح لهم و أن الكل في خدمتهم .

تحقيق الانفصال عن الأم بالنسبة للطفل يعتبر في نظر أغلب السيكولوجيين و من بينهم دالار من الآليات الضرورية لتطوير معنى الأبوة و الرفع من شأنها و الإسهام في نفس الوقت في ترسيخ و تدعيم هوية أعضاء كل الأسرة ، وفي مقدمتهم البنين و البنات . ومن الأعمال التي تساعد بالدرجة الأولى على تحقيق نمو الطفل و نضجه و توازنه النفسي وإشعاره بنبل سريرته وقيمة وجوده إبداء الاستعداد من قبل الأب لمساندة الأم عاطفيا و فكريا واجتماعيا بصدق و إخلاص ومرافقتها و تقديم العون لها في كل ما

يمكن أن يخفف عنها عبء الرعاية و التكفل بالأطفال منذ الحمل و مرورا بالولادة و انتهاء بتلبية حاجياتهم و مقاصدهم و الترويح عنهم ليظفروا بالطمأنينة القاعدية و الارتياح النفسي الذي يعده كل السيكولوجيين منذ سبيتزSpitz و فينيكوت Winnicott و مصطفى حجازي من الشروط المهمة للتمتع بالصحة النفسية .

رعاية البنوة و الاهتمام بانعكاساتها و آثارها الإيجابية على نفسية الطفل لا يمكن أن تخفى على أي أب واع بمسؤولياته تجاه أبناءه وذريته. و يتجسد اهتمام الأب بهذه البنوة على وجه الخصوص في منح اسم العائلة لأطفاله لإشعارهم و طمأنتهم بانتمائهم الطبيعي و الضروري لأبيهم. إن كل طفل هو في حاجة للعلم بأن له أب و التعرف عن قرب على هذا الأب. و هو قبل ذلك في حاجة إلى الشعور بأنه ينحدر من سلالة ذات تاريخ . و بدوره الأب هو في حاجة إلى الاطمئنان بأن له أبناء يعولهم و يتعب من أجلهم و يكنفهم بعطفه لينعموا بالسكينة في ظل محضن عائلتهم . إن كل أب يتصرف مع أبنائه بهذا الأسلوب الذي يولي اهتماما بالغا للعلاقة العاطفية الحميمية التي تجمعه بهم بإمكانه ألا يصنف من بين أولائك الذين ينعتون ب "الآباء الغائبون لأبناء مغيبون " (Père manquant fils manqué) حسب تعبير قي كورنو (1989) Guy corneau الذي استعمله كعنوان لكتابه ذائع الصيت الذي يكشف فيه عن الجرح المعنوي الذي يعيشه بعض الأشخاص الذين حرموا من جودة العلاقات مع أبيهم ،الذين نالوا قسطا وافرا من العطف و الحنان من جانب أمهاتهم و لم ينالوا إلا قسطا ضئيلا من جانب آباءهم .

و بما أن الوظيفة الأبوية هي مهمة و أساسية إلى هذه الدرجة فإنها صارت تحظى و بخاصة في هذه السنوات الأخيرة بكثير من الاهتمام وقد ألفت بشأنها كما سيتضح معنا كثير من العناوين و الدراسات. ومن هذه الكتابات التي عرفت إقبالا ملحوظا عنوان " الدور الحقيقي للأب " (Le vrai rôle du père 2004) للسيكولوجي في علم النفس النمو للطفل جون لو كاميو Jean le Camus الذي حاول من خلاله أن يعيد الاعتبار إلى الدور الواقعي للأب و إلى حضوره المبكر الضروري بجانب الطفل الذي زهدت فيه كثير من النظريات السيكولوجية وقزمت مدلوله كما يعتقد الباحث.

إن دور الأب بالنسبة للطفل في الشهور الأولى خلافا لما يرى لكان Lacan و ألدو ناوري Aldo Naouri و فنيكوت Winnicott ليس ثانويا في نظر جون لو كاميو و إنما هو أساسي و ضروري لأنه يمثل أكثر من السلطة و "من قول لا دائما ، لا لكل شيء " (Aldo Naouri) . إن وجود الأب المبكر منذ الشهور الأولى له تأثير إيجابي على النمو الاجتماعي و المعرفي و الانفعالي للطفل الصغير.

كما أن وجوده يساعد الطفل على الانفتاح على العالم و على إيقاظ مهاراته . و قد لا تتحقق هذه الأهداف إلا إذا كان هذا الأب مهتما و متميزا في سلوكاته و تصرفاته عن الأم و بالتالي لن يخضع الطفل إلى عملية التبادل interchangeabilité المطلقة و لا إلى قلب الأدوار أي بدون المساس بخصوصية الوالد الذكوري. إن الأب الحقيقي من منظور جون لو كاميو (Jean le camus 2006 a : 12-20) هو الذي يواجه الطفل و يشارك الأم في الاهتمام بطفلهما . إن مساهمته لا تقتصر على دعم الأم و إنما عنايته بالطفل و حرصه على التقرب بل و الارتباط به و التفاعل معه قد يثمر و يتوج ببناء الغيرية و الهوية الجنسية لدى الطفل و الظفر بالحماية و العطف و المواساة . الأب إذن هو مطالب باحتلال مكانه إلى جانب الأم بشكل كلي ليتمكن الطفل من الحصول على استقلاله الاجتماعي و الاندماج ضمن أوساط أخرى و اكتساب القدرة على تحمل فراق الأم ومواجهة الصعاب و ابتكار الحلول الجديدة و الاستفادة من مخالطة الآخرين و مخاطبتهم بلغتهم المألوفة و التفاعل معهم ، وفي النهاية الفوز برضا أمه. كل هذا بفضل حضور الأب المبكر يحاول إقناعنا جون لو كاميو Jean le camus .

رعاية الأب بالطفل هذه قد تعود بالفائدة عليه هو بالذات لأنها تسهم في تشكيل و تثمين هويته الذكرية وتكسبه إضافة رجولية (جون لوكاميو Jean le camus 2006 b :26-35) . و حتى حضوره الفيزيقي و العاطفي بقرب الأم أثناء الولادة يضفي عليها السكينة و الراحة. إنه "الأب الحاضر " le père présent الأب النموذج الإيجابي المجرد من أي قسوة، المتميز و المهتم الذي يعرف للأبوة قيمتها الحقيقية و الذي يأخذ بعين الاعتبار الحاجيات الأساسية للطفل. الأب الذي يتصرف مع طفله من خلال كسب ثقته و التعاون مع الأم و التبادل المحترم الذي يهيئه لتعلم قواعد الحياة ، وكذلك من خلال الاهتمام بالطفل و الحوار اللغوي وغير اللغوي والتبادلات الترفيهية، وليس من خلال الإكراه والمعارضة و المراقبة و الحفاظ على النظام فحسب. إنه الأب الذي يقوى على مواجهة كثير من الصعاب ، صعوبة التحول من وضعية الزوج إلى وضعية الأسرة المستقبلة لعنصر جديد ، صعوبة تقبل التحول الجسمي و المزاجي للشريكة أثناء الحمل، صعوبة مواجهة صدمة الولادة ، صعوبة الاهتمام المفرط من قبل الأم و الإحساس بنوع من الإهمال ، الصعوبة الناجمة عن الإرهاق و التكفل المكثف بالطفل.

في ظل النظرة التي تنشغل و تريد إعادة الاعتبار للأب الحاضر " المتميز و المهتم " فإن جون لوكاميو (Jean le camus 2002 /2 ; 14 :145-167) نجده ينصرف إلى إثراء صورة هذا الأب من خلال الكشف عما يسميه " خصوصية المساهمات " وبخاصة في المرحلة ما قبل- الأوديبية التي دأب على تجاهلها في تصوره كثير من السيكولوجيين الإكلينيكيين الذين يستهينون بالأثر الإيجابي و المشكل للحنان والعطف و يؤثرون التركيز في حديثهم على تهويل علاقة المعارضة بين الأب والابن و على الآثار

السلبية الناجمة عن المواجهة بينهما و عن الآلام والأحقاد الراسخة المترتبة عنها التي أبدع في تدوينها ونقلها إلى القراء كثير من الأدباء في القرن 19 و القرن 20 من أمثال دسطويفسكي 1875 وكفكا 1919 وسارطر Sartre 1964 وميشال دل كاستيو Michel Del Castillo 1998 و أندريو أهاقان2000 Andrew O'Hagan , الذين يتفقون على وصف آبائهم بأبشع الأوصاف وإبداء العداوة لهم و الرغبة في التخلص منهم كما يفعل بعض الكتاب المغاربة الذين تأسوا بهم و ساروا على نهجهم كما سنرى.

ومن هذه المساهمات الخاصة التي ترتبط بنموذج الأب " الحاضر و المهتم " و ليس الأب " القاسي ، المفرق و المانع " ، الأب المشبع بإحساس العطف و الحنان و القرب و الفهم، الذي لا يفكر إلا في كيفية الوصول بهذا الابن إلى الرشد و النضج الكامل من جميع النواحي النفسية و المعرفية و الاجتماعية وبناء ذاته كشخص متميز و مستقل .

إن وظيفة الأب الحاضر و النشط و الحار و الملقن من هذا المنظور لا تقتصر على الوظيفة الرمزية وإنما تتمثل على وجه الخصوص في القدرة على التحدي أي القدرة على استثارة الطفل المفضية إلى سلوك الابتعاد و الاكتشاف و إلى مواجهة الانفعالات السلبية من خلال وضع الثقة في إمكانيات الطفل وممارسة لغة الحوار و الإصغاء و تقديم الدعم و تشجيعه على إيجاد الحلول بنفسه.

إن الأب الحقيقي الضروري ليس هو الأب " uvrater " الغائب كما يرى إقور تشرنشف Igor Tchernicheff, 2005, 142-152)) و ليس هو الأب الموجود ضمن حمى الطفل كما كان يعتقد فينيكوت و إنما هو الأب الذي يتطلع إلى بلوغ مرتبة الرجل " الفاضل " (good enough) الذي يتسم بكثير من الخصال و الفضائل من منظور فرانسوا دبارك François Duparc . إن السيادة المطلقة للأب المزعوم و منح الأفضلية للحقيقة الموجهة إلى البعد الرمزي على حساب الواقع الفعلي إلى جانب الإصلاحات ذات التوجه التحرري و النسوي التي بالغت في سلطة الأمهات كما ترى سلرو 1992, Evelyne Sullerot ودبارك فرانسوا(2003 :13-37)هي التي أفضت في النهاية إلى تزكية غيابه على مستوى الواقع المباشر للطفل و الأم و إلى محوه. و بعد دفن الأبوة دون جلبة و لا ندم بات مليونان من الأطفال في فرنسا كما تذكر الباحثة يعانون من الانفصال عن آبائهم و عدم معرفتهم. و من هنا جاء التنديد بهذا الإجحاف في حق الأطفال الذين تربوا دون آبائهم و مساندة " الآباء الجدد " حسب تعبير دبارك الذين يقبلون بالإسهام في الوجود و الرعاية و التربية و المسؤولية تجاه أطفالهم.

هذه الوظيفة الحقيقية لكي تؤتي أكلها و تتمكن من تحقيق أهدافها بجب أن تسند إلى شخص واع بمهمته و مؤهل لممارسة دوره الحقيقي على أحسن وجه ، "الأب المزود بقلب " الذي يحب طفله ويرغب في اللعب معه و " الأب ذي رأس" كما يقول دبارك الذي يمارس مسؤوليته و سلطته و إرادته

في توكيد أبوته، المتبصر و المتقن لبداغوجية تدخله يعرف كيف يكون "جسرا لغويا " بالنسبة لابنه أو " جواز سفر لحياته " (Michel Del Castillo, 1998) أو "محركا لمواجهة الأخطار" (Kromellow S. et al 1990) لإنجاز ذاتيته و التكيف مع المعايير و القيم و الاندماج في مجموعة الأقران و تقبل القواعد و من يتولى تطبيقها. ومن ثم عليه أن يكون مقبولا و معترفا به من الأم و أن يسعى من جهته إلى قبولها و الاعتراف بها.

صورة الأب من المنظور " الحدثي "

صورة الأب التي يتبناها أنصار النظرة " الحدثية " هي صورة تدعي تحرير الأسرة المغاربية من المحافظة و التقليد الذي يكبل الزوجة و يبقيها في المرتبة الثانية بعد الرجل. وهي تصفها بالمقهورة و المنقوصة و المحرومة من الحرية و المنسية و أنها مسخرة فقط لراحة الزوج و نشوته ، و أن دورها محصور في الأمومة و الإنجاب. وهي الزوجة التي لا تحظى بالتقدير و الاحترام إلا عندما تنجب الأطفال الذكور Marie Sylvie 1978 :139 , Bouhdiba A. 1995 op cit ; Feraoun M. 1957 : 50 .
والسبب بالطبع يعود إلى قمع الزوج و الأب المتسلط على الأم المذعنة الفاقدة لهويتها و ذاتها التي لا تعرف إلا الطاعة والصمت لتكسب ود من تحب. (Zerdoumi N. Chraibi D. 1954 :70 ;1 ;245 31 Feraoun M. 1954 :23 1970) هذه النظرة كما نلاحظ تريد أن تنال من المكانة التي تحتلها الأم في منظومة القيم داخل الأسرة المغاربية و العربية ، حيث لم تعد تكتفي بالتركيز على النظرة المتعالية لدور الزوج و تؤكد على سطوته الفولاذية وعلى جبروته كما يفعل دريس شرايبي (1954:90). و هي الصورة نفسها التي تكاد تتكرر في كثير من الكتابات المدونة باللغة الفرنسية في المجتمع المغاربي. إن العلاقات الأسرية في المجتمعات المغاربية التي توصف بالتقليدية و المحكومة بقيم المشيخة و التقاليد والمكانات الاجتماعية هي تتسم في الغالب عندهم بعدم الاستقرار الخشية و التسلط و الكراهية المتبادلة بين أفراد العائلة.

وهي تجعل في الغالب من رب الأسرة رمزا للقهر الغريزي و الفكري والاجتماعي ونموذجا للتعذيب النفسي و الجسمي الذي يمارسه على بناته و زوجته. فهو القائد والمحارب و الديكتاتوري المنشغل بتلبية رغباته الذي يفرض هيمنته وقوامته وتوجيهه على أفراد أسرته بسبب عدم قدرته على إنجاب الوريث الذكر(نينا بوراوي 11 : 1991 ; Nina Bouraoui) . ويختار الأزواج لبناته و لا يقبل في النهاية بأن ترد كلمته و تنتهك قراراته وسمعته (فضيلة مرابط 49-43 : 1967 ; Fadela M'rabet). بل إن التسلط المستبد والوحشية القاسية التي يوصف بها هذا الأب يمكن أن تفضي إلى البكم و العدوانية و بخاصة عندما يعجز على إنجاب الذكر الوريث (نينا بوراوي ، ن. م. ص 11).

هذه السلطة التي يختص بها الأب داخل الأسرة في المجتمع المغاربي هي التي تخوله لأن يكون الحارس لقيمها و الرجل " الفحل " الذي ينافح عن شرفها و يأبى أن يمس و يخدش عرضها. و على هذا الأساس فهو يبسط هيمنته و لا يقبل بأي معارضة لأوامره و يفرض احترامه و طاعته (لطفي بن دويس Bendouis Lotfi ;2003 : 162-163) . و لكن تدخل الأب و توظيف سلطته هذه من أجل تربية أطفاله بهم في نظر بن دويس دائما قد يتأخر إلى مرحلة البلوغ بعد أن يتم تفويض مجموعة النساء بهذا الدور.

و من أجل الحصول على هذه الطاعة فقد يعمد إلى تهديد الزوجة بالطلاق واستبدالها بزوجة أخرى مذعنة و مطيعة. ولن يرضى بالإخلال بهذا المبدأ في الغالب إلا إذا نجم عن الولد الذكر الوحيد بين أخواته. عندها يمكن أن يستجيب لكل مطالبه و إراداته (مولود فرعون : 1954 ; Mouloud Feraoun 25-27). ولأن هذا الزوج و هذا الأب يتسم بعاطفة مجردة من الحب و هو غير مبالي بمشاعر أفراد أسرته ، فإن الأم توجه حاجتها هذه إلى الود و العطف إلى أبناءها وبخاصة الأولاد لأن الحوار بين الأب و زوجته و بينه و بين الأطفال غائب و لا ينعقد إلا مع الذكر الراشد الذي يتولى تكوينه و متابعته بنفسه لتحقيق نضجه ولإدماجه ضمن عالم الراشدين بعد اجتثاثه من عالم النسوة و إبعاده عن التهميش (بن دويس Lotfi Bendouis : 175) .

وفي تناغم عجيب مع هذه الصورة يتحدث طاهر بن جلون (Tahar Benjelloun) في "الليل المقدس" (La nuit sacrée 1987 :26-28) بنفس النبرة و يرسم نفس الملامح عن الأب الذي يبدو غير مبالي و مجرد من أي رأفة باتجاه الزوجة و بناتها، الأب الذي لا يبدي أي محبة لزوجته ... و يصل أحيانا إلى نسيان وجودها و اسمها و صوتها ... الأب الذي لا يهتم بأطفاله. فإذا أحس بقرب الموت صار ... مستثارا ، لا ينعم بالصبر و لا بالمتعة ، يتميز بكراهية عنيفة و عمياء ... يخاصم كل نساء المسكن ... يصرخ و يهدد و يضحك من عظمته ... مهووسا لا يتحمل أي مخالفة لطقوسه. فكل واحدة من بناته تضطلع بدور. الواحدة تتكفل بنزع جلابته، و الأخرى بغسل رجليه، و الأخرى بمسحهما، بينما الأخريان يقومان بتحضير الشاي ... إنه اكتشف بأن الكراهية هي دواء.

و يستمر الحديث عن الآباء التعسفيين (les abusifs) و عن تسلطهم و هيمنتهم من خلال الاهتمام الموجه إلى صورة الأب من قبل الأدبيات الفرنسية و الفرانكفونية المنشغلة بالعلاقات الأسرية التقليدية منذ الثمانينات على وجه الخصوص (Murielle Lucie Clement et al. 2008). و تتواصل الانتفاضة ضد "رمز القهر الغريزي و الفكري و الاجتماعي " التي يقودها كتاب بارزون من أمثال و دريس شرا يبي ورشيد بوجدرة و طاهر بن جلون الذي يعنى في " طفل الرمل " (l'enfant du sable) بتوجيه اللوم إلى الأم المذعنة للطروحات الأبوية لزوجها فيما يتعلق باهتماماته بالوريث الذكر و خضوع البنات. و أما نينا بوراوي (Nina Bouraoui) فيبدو أن ما يؤلمها أكثر هي النتائج النفسية للتعذيب النفسي و الجسمي

الذي يمارسه الأب على بناته الذي يؤدي إلى فقدان الشهية و البتر الذاتي و العصاب. هذا المشهد الذي يكاد يتماها و يتشابه إلى حد كبير بما دأب عليه بعض الكتاب في الثقافة الفرنسية من أمثال بالزاك (Balzac) و موريالك (Mauirac) و مارتان دو قارد (Martin du Gard) لا تشد عنه إلا آسيا جبار (Assia Djebar) في "السجن الواسع" (Vaste est la prison 1995) و " الحب و الفنطازيا " (L'amour la fantasia 1985) التي تنصرف فيهما إلى تمجيد الأب بقوة لأنه لم يجبرها على اقتداء الحجاب و لم يمنعها من الخروج وأنقذها من الحجز والإغلاق وحرص على استثارة نموها العقلي و السماح لها بالاستفادة من التعليم. و قد نلمس نوعا من هذا الإحساس يغمر بوراوي رغم الكراهية التي تبديها لبعض تصرفاته عندما تعترف في " أفكاري السيئة " (Mes mauvaises pensées 2OO5) بأن والدها يمثل أكثر من أب لأنه يجسد العلاقة الوحيدة مع البلد الذي كبرت فيه.

وإلى جانب سمة التسلط و القمع و القهر و القساوة التي تريد كل هذه الكتابات إلحاقها بشخص الأب المغاربي و جعلها سمة ثابتة من سمات شخصيته تبرز سمة أخرى لا تقل عنها سلبية و لا ضررا تتمثل في صراعه المزمن مع ابنه بحكم الدور الذي يضطلع به والمكانة الاجتماعية التي يحظى بها المتمثلة في سلطته اللامحدودة و مسؤوليته الأحادية (لحسن موزوني 40-39: 1987 Lahcen Mouzouni). كما يتبدى هذا الصراع من خلال طريقة التواصل المعتمدة من قبل الأب الذي يملي قراره بقوة على الابن ويطلب منه الامتثال بالإذعان وحده. إن التواصل بين الأب و الابن كما يستشف من خلال هذه الكتابات الأدبية تقول ألسان آن (Alassane Anne 2008) يبدو ناذرا وإذا وجد فإنه يتحول إلى سلسلة من الاتهامات و المطالب و الممنوعات و الأوامر الصادرة عن الأب باتجاه الابن. وقد تنسب هذه القطيعة بين جيل الآباء و الأبناء المتميزة بالكراهية المتبادلة إلى طموحات الطرفين المتباينة في أهدافها . فالأبناء هم في الغالب بصدد البحث عن شخصيتهم وهويتهم و عن حريتهم و استقلاليتهم، في حين أن الآباء الذين يتمتعون بإرادة قاهرة تمنحهم العظمة و الوجاهة و الهيمنة يمثلون عوائق دائمة أمامهم (ألسان آن ، م.س. ص68) و لا يقبلون بأي معارضة (رشيد بوجدرة 33: 1969 Rachid Boudjedra) هذه الممارسة إذا كانت تقابل بالرفض و الاحتجاج و الكراهية من قبل الابن الذكر فإنها قد تؤدي عند الفتاة إلى اختلالات نفسية قد تترجم في شكل محاولات الانتحار (فضيلة مرابط ، 1967 : 87-88).

التطاول على شخص الأب في المجتمع المغاربي و وسمه بهذه الأوصاف لم يتوقف عند هذا الحد و إنما تجاوز كل الحدود و المعايير الأخلاقية و وصل الأمر ببعض المنتفضين ضده و ضد قيمه التقليدية إلى اتهامه بأبشع الأوصاف والانحرافات كما يفعل محمد شكري في " الخبز الحافي، 1982 " حينما يصف الأب بالظالم و القاسي الذي يتعاطى السقوط و يسب الإله و بالتالي هو يستهدف تحطيم رأس العائلة و ما يمثله من مكانة اجتماعية و سلطة رمزية تعبر عن القيم الراسخة في المجتمع المغاربي الذي يستهجن مثل هذه الأمور التي يمقتها العرف و الدين. " إن أبي وحش ، يقول محمد شكري ، عندما

يدخل لا حركة، لا كلمة إلا بإذنه كما هو كل شيء ، لا يحدث إلا بإذن الله كما سمعت الناس يقولون ، يضرب أمي بدون سبب أعرفه ، سمعته مرارا يقول لها سأهجرك...." (ص12) .

صورة الأب هذه التي تريد رسمها هذه النظرة في بعض الدراسات و الأدبيات هي إذن صورة متسفلة تعكس سطوة الأب و تسلطه الكامل على الشأن الأسري. فالأب عوضا أن يكون متعاونا عطوفا و ودودا متسامحا كما تريده منظومة القيم بات يمثل القائد الأوحد الذي يملك لوحده حق التصرف في شؤون الأسرة. و أصبحت الأم مدهوسة لا تمثل إلا ظلا شائها بجانبه (بوحديبة ع. ، م. : 140و 261.) . و بهذا السلوك التسلطي يكون دور المرأة قد حصر في الجانب الأمومي وضاعت بالتالي رفعة الأم بسبب هذه التصرفات المتفردة التي لا تراعي شعور الآخر و أضحت في نهاية المطاف كلمة الرجل هي الكلمة التي تعلو فوق كل شيء بلا اعتراض ، و الحكم حكمه ، و شاعت ظاهرة تكثيف الشاربين تقول جرمان تيون (Germaine Tillon 1966 : 118-119) التي أضحت علامة و شارة على " جبروته و جنون عظمته ". الأمر الذي رسخ في نفسيته نوعا من الشعور بالغرور و التظاهر بالدنكيشوتية و الرجولة المفرطة و النزوع إلى البحث عن مصادر المتعة و الاستلذاذ و الاستعلاء الممقوت و التباهي المنبوذ. وكل ذلك أدى به إلى أن يصبح عنصر إيذاء و فتك و هدم و ليس عنصر رحمة و نماء وأن يتحول مع مرور الوقت إلى كائن فقد كل مقومات شخصيته و قدرته على التحكم في رغبته.

هذه النظرة "الحدثية " إلى الأم و الأنوثة في المجتمع المغاربي المتبناة في كثير من الكتابات التي تنعت الأب و الزوج بالقمع و النبذ الكلي هي تريد أن تقنعنا بالمطلق يقول الطبيب النفسي لطفي بن دويس (Lotfi Bendouis :215) بأن الأمر يتعلق بمسألة الدين . في حين أن الأمر ليس كذلك . إن التقاليد القديمة و الراسخة هي التي شكلت أذهاننا سواء كنا رجالا أو نساء بأن المذكر يمثل المعيار اللاشعوري والمقياس العالمي ، و أن الحيطة من المؤنث يعد القاسم المشترك في كل مكان . فاليهود الأصوليون يكررون في كل صلاة صبح " أشكرك ربي بأن لم تجعل مني امرأة " . و كما كتب بيار بورديو (Pierre Bourdieu) يضيف بن دويس ، فإن الهيمنة الذكورية هي راسخة في لاشعورنا و لم نعد نعبأ بها ، و بما أنها متطابقة مع انتظاراتنا فإننا لم نعد نرفضها . فمن الضروري العمل على إلغاء البديهيات و كشف البنى الرمزية للاشعور الذكوري المهيمن عند الرجال و النساء .

صورة الأب من المنظور " الأصلي " :

بداية علينا أن نعلم بأن صورة الأب من المنظور الأصلي السائدة في الواقع المغاربي بإمكانها أن تكون متطابقة ملامح الشخصية المغاربية التي تم رسمها من خلال بعض المحاولات و الدراسات التي اهتمت بها. و بالتالي فهي شخصية متباينة في سلوكاتها واتجاهاتها و قناعاتها . فهي إما ملتزمة بالقيم

السائدة أو مبتعدة عنها و منساقة وراء تطور الأعراف و التقاليد أو خاضعة للأساليب التربوية المتجددة (بن عبد الله محمد ، 2010 : 62).

إن صورة الأب حينما تتماها مع النموذج المتمسك بالقيم السائدة أو حتى بالأعراف والتقاليد فقد تبدو متشبعة بكثير من الخصائص التي تميزها عن الصورة السالفة الذكر. ومن هذا المنطلق فإن ما يشغلها بالدرجة الأولى هو المنافحة عن شرفها وشرف أفرادها و عائلتها و حتى القبيلة التي ينحدر منها . والشرف خصلة من خصال الجماعة يملي عليها صون حرمة أفرادها و كرامتهم و يعلي كما يقول جاك برك (Jacque Berque 1969 :314) من شأنها و يحفظ حرمتها و سمعتها ويبقي لها سعادتها. كما أن مدلول الشرف بالنسبة للأب المغاربي قد يتقاطع مع مفهوم الرجولة والمروءة و مفهوم الحياء (بوحديبة ع. Bouhdiba A. 1995 :193).

و لا نستغرب إذا وجدنا هذا الإحساس يلازم الشخص و الأب المغاربي باستمرار. إنه إحساس إنساني بامتياز يكاد يلاحظ في كل الأوساط الثقافية حينما يشعر المرء بأنه مراقب و يعاني من عجز التملص من تأثير " نظرة الآخر " التي تلاحقه وكثيرا ما تفرض عليه الانطواء و الانعزال لأنه يعتقد بأنه منقوص من تلك الخصال و الخصائص التي تتوفر عند كل الناس. هذا المشهد الذي ظننا بأنه اختفى من الأوساط الغربية عاد الكاتب و الطبيب النفسي بوريس سيرولينك (Boris Cyrulnik 2010) ليرسم ملامحه و ليحدثنا عن معاناته التي عاشها و يعيشعا كثير من أمثاله لأنه لم يكن فقط ليجد مسكنا لائقا كالذي يسكنه أقرانه أو لأنه لم يكن بإمكانه ارتداء سروال خال من الرقع.

ومن الممارسات التي تكشف عن هذا المسعى هو ميل بعض الآباء المغاربة بالفعل إلى نوع من التشدد و قلة الحكمة في التعامل مع أبناءهم و الضغط عليهم من خلال مراقبتهم المستمرة إلى يومنا هذا. الأمر الذي يؤدي أحيانا إلى نتائج معكوسة (انتحار فتاة مؤخرا في إحدى الثانويات بوهران). غياب الحكمة هذا يرجعه بعض الباحثين من أمثال هشام جعيط إلى الخشونة في التربية التي تؤثر في نفسية الطفل و ترسخ لديه الميل إلى العناد و رفض الإذعان والطواعية . وقد يعود إلى انعدام الحس العاطفي الذي يفقد الأب التحلي بروح العطف و التفاهم والتحاور والرفق و الاحترام المتبادل و عدم التسلط الذي لا يتعارض مع الحزم وعدم التساهل (بسماء آدم ، 2002 : 172-173) .

ولكن رغم الأخطاء التربوية التي يمكن أن يقع فيها بعض الآباء في أي وسط من الأوساط فإن الأسرة المغاربية لازالت في نظر بعض الباحثين (Boutefnouchet M.; 143: 1979 .Berque J 39-38: 1982) تجنح إلى إعلاء شأن الأبوة و تفرض على نفسها الالتزام بنظام صارم يجعل من الأب القائد الروحي لكل الجماعة الذي يتميز بمكانة خاصة و باحترام كبير يسمح له بتسيير شؤون الأسرة وأخذ القرارات اللازمة لصون كرامتها و تقوية أواصرها و تجنب كل ما يمكن أن يعرض صلابة وحدتها إلى التفكك و الاضمحلال.

و لا يفهم من هذا بأن الأب يستغل قوامته للتسلط على الزوجة و الانتقاص من قيمتها وحقوقها و لا الجور و التعالي عليها. وإنما مفهوم القوامة كما يشير إلى ذلك سليمان عشراتي (2002 :235-246) يحيل إلى المعنى الذي يركز على ترجيح دور الرجل على المرأة في بعض المواقف لأسباب مختلفة قد يعود بعضها كما هو معروف إلى القوامة البيولوجية والقوامة الإنفاقية. و لكن هذه القوامة لا تلغي بأي حال من الأحوال معنى الملابسة و حسن المعاشرة و التعاون البناء و المعاملة الحسنة المطبوعة بالعطف و الود والخيرية و النظام و العقل و الرجلة (بوحديبة ع. ، م.س. صص126-138). و هو بهذا السلوك ينتمي إلى صنف " التراريس" الذي يشيد عشراتي بشمائلهم و مناقبهم. هذا الصنف من الآباء الذي يتسم بالمروءة و الصبر و يوصف بالإباء و روح البذل و نكران الذات و يتحمل مسؤولياته بالكامل و يضطلع بواجباته و يترفع عن كل فعل خسيس و دنيء هو الذي دفع واحدة من أمثال أ. ب. زهور من خلال منشورها الموسوم " أبي، عائلتي " (Mon père 2011) إلى الذود عنه و عن كرامته بعد ما شعرت بالحياء كلما تذكرت بأنها قصرت في حقه وخالفت أوامره. هذا الأب الذي تقول عنه بأنه قوي كجذع الشجرة الذي يرصف بانعوت المجحفة و لا يبالي بالأفكار المسبقة و لا بالاتهامات المؤلمة. هذا الأب الجيد الذي يعطي ولا ينتظر الجزاء. و هي بالتالي تندد بكل سياسة غير أخلاقية التي تريد إسقاط هذا الحارس للوصول إلى الصيد (م. س. ص 51).

وخلافا لما يورده فتحي بن سلامة (Fethi Benslama ;2003/4 :139-14) في إحدى مقالاته بأن النص القرآني لايولي أي اهتمام لصورة الأب بصيغة المفرد لأن الأب لا يوجد كمبدإ أو كماهية و أن الذي ينشغل به أكثر هو مفهوم الآباء بصيغة الجمع الذي يحيل إلى الوقائع و الصور والأحكام السلبية ، فإنه يمكن القول بأن النص القرآني يحرص على عرض على الأقل نموذجين مثاليين لصورة الأب ، صورة لأب يوسف ، الأب المجسد للحب الأبوي في شتى صوره و درجاته ، صورة الأب المحب لأصغر أبناءه و هو في سن الكبر و صورة الأب المحب لبقية إخوته رغم كيدهم لأخيهم بسبب غيرتهم وحسدهم. والصورة الأخرى هي صورة إبراهيم الخليل ، النموذج المثالي للأب القرآني كما يقول بوحديبة ع. (1995: 138-128) الذي يعد من منظور النص القرآني " النموذج الحسن " والعالمي لكل الناس،الأب الملهوف و العطوف و الابن التقي الذي يعلمنا كيف يمكن للأب أن يكون أواها حليما أي كثير التأوه من فرط الرحمة ورقة القلب . إنها الصورة المثالية التي لا تهدف إلى التحرر من قانون الأب و قبيلته وتقاليده و انتقاده بسبب خطأه في تأويل حلمه كما يتصور فتحي بن سلامة و إنما هي صورة الأب الحامل لرسالة المكلف بمهمة. إنها الصورة الجليلة التي ترتسم أمام أعيننا في اتحاد كامل مع الأم تأتي لتبعد عنا شبح الفحولة اللصيق بالرجل المغاربي ، الرجل الذي يظل بالطبع متمسكا بهذه المعاني وبهذه القيم و لا يستسلم لأهوائه و ميولاته التسلطية التي تدفعه أحيانا إلى "دهس الأم و نفيها إلى الظل " وفق تعبير بوحديبة. و ربما هذه الصورة الهائلة عن الأب المغاربي و هذا التفضيل الأبوي

هو في طريقه إلى الزوال بصفة نهائية مع سقوط " إمبراطورية الآباء " و "مملكة الأمهات " على السواء (بوحديبة ع. ، م.س.ص135) بسبب التحولات الإيجابية و السلبية الجارية في كل المجتمعات بدون استثناء و التي لم تخطئ بالطبع لا الآباء و لا البنين و لا الأمهات و بسبب الهوة التي فصمت العلاقة القائمة بين المنظومة القيمية و المجتمع و نسفت روح التضامن و التعاون و التفاهم و التحاور بين الأجيال و الأزواج والأشقاء . فأنى للآباء و الوضع على هذا الحال من الاضطلاع برسالتهم و تأديتها على الوجه الأحسن دون إكراه ولا قساوة و لا إخفاق.

و لكن رغم كل ما قيل عن الأب في الوسط المغاربي و كل ما كتب عن انحسار وظيفته داخل العائلة (كرستين نصار، 2000: 30-34) أو تجذرها (توالبي ن. Toualbi N. ،88: 2000) و كل ما نعت به من نعوت سلبية كما أوضحنا سابقا و رغم التطورات التي طرأت على العلاقات الأسرية المغاربية فإن الأب لا زال يحتل مكان القمة على مستوى الخلية الأولى في المجتمع بما يمثله من مكانة اجتماعية وسلطة عائلية (سليمان إبراهيم العسكري، 2002: 9) و يحظى به من التقدير و الاحترام الذي يعود تثبته في الوسط المغاربي بالدرجة الأولى إلى المرجعية الأخلاقية و الدينية (بوحديبة ع.، م. س. : 126-132) و إلى ما يقدمه من تضحيات و بذل وصبر و كد من أجل استقرار أسرته و اطمئنانها و بما يبديه من عطف و ود و لين و إباء و رجلة و نكران للذات. هذا النكران الذي يجعله يعيش و يضحي من أجل سعادة أسرته و من أجل قيمتها الراسخة. فهو من هذا المنظور يرمز بالفعل إلى الأب النموذج، نموذج الطهر و الإخلاص و الإحسان و الإحساس بالغير و العطف على كل من هو تحت كفالته. و لأنه راع ومسؤول عن رعيته فهو محترم و مطاع دينيا و خلقيا و اجتماعيا (بوتفنوشت ، 1982: 63) .

وخلافا لما يروج عن الأب في المجتمع المغاربي من احتقاره للطفل والطفولة (سلفي ماري، Sylvie Marie 1978 :173) فإن الأب يبدو حريصا على تربية أطفاله و حريصا أكثر على مستقبلهم . فهو قبل كل شيء مجبول على تقديس أطفاله والاعتناء بهم عناية خاصة لأن إنجاب الطفل إلى يومنا هذا يمثل الوسيلة المفضلة لتحقيق الذات بالنسبة للأب و الأم في آن واحد إذ أن الرجل بدون طفل و المرأة يعدان في نظر الكثير كائنين منقوصين . و من ثم فإن إنجاب الأطفال في وقت مبكر كما أوضح سابقا بوحديبة ع. ،(1975: 259-279) يوفر بالنسبة للأب والأم التقدير و الاحترام و الإجلال الذي يفوق نعمة المال والحسب و الجمال. وربما لهذا السبب كان الآباء و لازال يحرصون على الحفاظ على العلاقات القوية التي تجمعهم بأبنائهم عند إقبالهم على اختيار الأسرة لتزويجهم كما يحرص الأبناء على الظفر برضاهم لينعموا بحياة زوجية مستقرة و متزنة (بوتفنوشت، م. س.: 258-261). إن الأب في المجتمع المغاربي ينتظر من ابنه أن يكون قريبا منه و مرتبطا به أشد الارتباط لأنه يعتبره الوريث الطبيعي الذي يخلفه في يوم من الأيام. و من هنا فإننا نجده يميل أحيانا إلى التعلق بالابن أكثر من البنت لأن البنت مرشحة لمغادرة البيت و الالتحاق بعائلة أخرى. و لكن هذا لا يعني بأن الآباء يزهدون في الاعتناء

ببناتهم ، بل هم يعملون كل ما في وسعهم لإسعاد الجميع . وقد لا يهدأ لهم بال و تقر لهم أعين إلا حينما يرونهم قد بلغوا رشدهم و استوى عودهم ووهبوا حفدة تطمئنهم على صون النسب و الحسب ونقل الإرث. وقد تتدعم أكثر هذه العلاقة حينما يكتشف الأبناء بأنفسهم بأن آباءهم عندما يرزقون بالأولاد تكون أمنيتهم المفضلة لديهم " أن يصبحوا أحسن منهم في كل الجوانب" (شرايبي د. ، م.س.: 199). و بالتالي فإن الطفل لا يحس بأي قلق بالنسبة للعطف و الدعم الذي ينتظره من والديه ، بل " قد لا يفكر في الأمر إطلاقا لأنه يعلم بأن القضية محسومة مسبقا " (مولود فرعون ، م.س. :70). و ربما لهذا السبب لا زال كثير من الأبناء يعتقدون بأن آباءهم هم في حاجة إلى تقديرهم المستحق وإلى الالتزام بتوجيهاتهم و الامتثال لسلطتهم لأن الأب يمثل بالنسبة لهم كما كان يقول بوتفنوشت (1982: 193-214 و 236-239) " المستشار المسموع والمعتمد و العنصر الأساسي ضمن الأسرة كلها الذي له تأثير كبير على ذاكرة الأبناء و على مشاعرهم و أداة لتماسك الأسرة من خلال العناية و الدعم الذي يقدمه لكل أفرادها " .

المراجع

1. بن عبد الله محمد (2010) ، سيكوباتولوجيا الشخصية المغاربية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر .

2. سليمان إبراهيم العسكري (2002) السيرة الذاتية، خط رفيع بين الحقيقة و الفضيحة، العربي، العدد 520، مارس.

3. شكري محمد (1982) الخبز الحافي، دار الساقي، بيروت، لبنان.

4. شيماء آدم (2002) أخلاق أولادنا، النمو و المخاطر، العربي، العدد 521، أبريل.

5. عشراتي سليمان(2002) الشخصية الجزائرية، الجزء 3، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران.

6. كريستين نصار (2000) الأبوة المصادرة سمة العالم المعاصر، العربي، العدد 498، مايو.

7. ماجد مورسي إبراهيم (2001) خبرات تربوية لا تتأثر بالزمن، الأبوة ليست عملا سهلا، العربي، العدد 509، أبريل.

8. محمد الرميحي (1999)، "الأبوة المشوهة" تحاصر المستقبل العربي، العدد 483، فبراير.

9. A.B Zhor (2011), Mon père, ed Dar El Gherb.

10. Ajuriaguerra Ide. (1980), Manuel de psychiatrie de l'enfant, Masson, Paris.

11. Alassane Anne, le conflit père/fils à travers le roman francophone régno-africain, Paris, l'Harmattan, 2008.

12. Autobiographique de Nina Bouraoui, Paris, l'Harmattan, 2008.

13. Bendiouis Lotfi (2003), l'occident et les arabes, Dar el Gharb, Oran.

14. Benjelloun Tahar (1987), la nuit sacrée, le Seuil, Paris.

15. Benjelloun Tahar (1985), l'enfant du sable, le Seuil, Paris.

16. Bernadette Hofer, Regard violence et mutisme : la relation filles-père dans la voyeuse interdite (1991) de Nina Bouraoui, l'Harmattan, Paris, 2008.

17. Berque Jacques (1969), les arabes d'hier à demain, le Seuil, Paris.

18. Berque jacques (1978), les arabes, Sindbad, Paris.

19. Boudjedra Rachid (1969) , la répudiation , Edition Denoël, Paris.

20. Bouhdiba A. (1995), Quêtes sociologiques, Ceves, Tunis.

21. Bouraoui Nina (1991), la voyeuse interdite, Gallimard, Paris.

22. Corneau Guy (1989), père manquant, fils manqué, Québec.

23. Cyrulnik Boris (2010), Mourir de dire la honte, Odile Jacob, Paris.

24. Dallaire Yvon (2001), la réelle fonction du père " homme et fier de l'être", ed option santé, Québec. www.optionsante.com .

25. Driss Chraibi (1954), le passé simple , Denoël, Paris.

26. Duparc François, Le père dans tous ses états, l'esprit du temps, 2003, pp 13-37.

27. Duparc François, Le père chez Winnicott (est-il « suffisamment bon » ?).

28. Feraoun Mouloud (1954), le fils du pauvre, Paris, le Seuil.

29. Fethi Benslama (2003), D'un renoncement au père, Topique, n˚85, p 139-148.

30. Frank Popplewell and Anees A. Sheikh, The role of the father in child development, a review of the literature, international journal of social psychiatry, 1979 , 25, n˚4, G.B.

31. Germaine Dulac (1997) les demandes d'aide des hommes, Montréal, université McGill.

32. Germaine Tillion (1966), le harem et les cousins, le Seuil, Paris.

33. Huon Nar Elie (2003) 18, Parental.

34. Hurstel Françoise (1996), le déchirure paternelle, PUF, Paris.

35. Juignet Patrick (2012) Fonction paternelle: le rôle du père dans la structuration psychique, Psychisme, 2012, www.psychisme.ong .

36. Lahcen Mouzouni, le roman marocain de langue française, 1987, Publisud, Paris.

37. Le Camus Jean, quel est le vrai rôle du père (interview), www.psychonet.fr , 20/2/2001.

38. Le Camus Jean, le lien père - bébé, Devenir, 2002/2, vol 14, pp 145-167.

39. Le Camus Jean, le devenir père : Merveilles et déconvenues, Information sociales, 2006/4, n°= 132, pp 26-35.

40. Le Camus Jean, ton père tu découvriras pour de vrai, Spirale, 2006/3, n°39 , pp 12-20.

41. Le camus Jean (2011), le vrai rôle du père, www.scienceshumaines.com

42. Toualbi N. (2000) L'identité de Maghreb, Casbah ed. , Alger.

43. Margarita Garcia Casado, des pères et des filles à travers l'œuvre d'Assia Djebar, l'Harmattan, Paris, 2008.

44. Marie Sylvie (1978), l'enfance dans le roman maghrébin d'expression française (1950 - 1975), thèse 3˚ cycle, Paris X.

45. M'Rabet Fadela (1967), les Algériennes, paris, Maspero.

46. Murielle Lucie Clément et Sabine Van Wesemael, Relations familiales dans les littératures françaises et francophones, des XXe et XXIe siècles, l'Harmattan, Paris, 2008.

47. Roques Mireille (2003) Etre père aujourd'hui un rôle qui n'est plus donné par la fonction, le pater familias, édition lien social, n˚677.

48. Sofiane Laghouati, le français : une tunique de Nessus pour vivre la relation père-fille dans l'amour, la fantasia d'Assia Djebar, Paris, l'Harmattan, 2008.

49. Sullerot Evelyne (1992), Quels pères, quels fils, Paris, Fayard.

50. Tchernicheff Igor, La question du père chez Winnicott … et chez quelques autres, Empan, 2005/1, n°57, pp 142-152.

51. Zerdoumi Nefissa (1970), Enfants d'hier : l'éducation de l'enfant en milieu traditionnel algérien, Maspero, Paris.